الجمعة 18/7/2014 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة دعوت ربي

وقل ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون 97-98].

طلب الله سبحانه وتعالى من النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ من الشيطان الرجيم. لا يخلو الإنسان في حياته من عدو يناصره العداء أو من حاسد أو من حاقد, ولا يخلو من شيطان يوسوس له بالشرور ما دام حياً, وهو صراع بين الحق والباطل صراع من الخارج وصراع من الداخل, والمؤمن يطلب من الله تعالى المعونة في كل يطلب من الله عز وجل المدد والمعونة حتى يعينه على أعدائه من الخارج ويطلب من الله تعالى المعونة أن يعينه على الشيطان الرجيم ووساوسه.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ يعني من وساوس الشياطين, سواء كنت صالحاً أو كان المرء غير صالح, سواء كنت كبيراً أو صغيراً, سواء كنت شاباً أو كنت فتياً أو كنت شيخاً هرماً, وساوس الشيطان لا تنقطع.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: ((لما حضرت أبي الوفاة جلست عنده وبيدي الخرقة لأشد بها لحيته، فجعل يغرق ثم يفيق، ثم يفتح عينيه ويقرأ بيده هكذا، لا بعدُ لا بعدُ، ففعل هذا مرة وثانية، فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبه! أي شيء هذا، قد لهجت به في هذا الوقت تغرق حتى نقول: قد قضيت، ثم تعود فتقول لا بعدُ؟ فقال لي: يا بني! ما تدري؟ قلت: لا، قال: إبليس لعنه الله قائم حذائي عاض على أنامله يقول: يا أحمد فُتني! فأقول له: لا بعدُ حتى أموت)) [المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي].

مادام هناك نفس يصعد وينزل, ومادام هناك روح بين جنبي الإنسان, لا يزال الصراع بين لمة الملك ولمة الشيطان موجودة؛ لذلك لو كنت من أصلح الصالحين وساوس الشيطان موجودة لا تنتهي؛ لذلك المؤمن يلجأ إلى الله عز وجل.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ أستجير بك, أحتمي بك, من وساوس الشياطين, بل ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ أن يكونوا حاضرين في مكان أكون حاضراً فيه.

كنت في إحدى المرات أقرأ في كتاب للإمام الغزالي فوجدته يتحدث عن الشيطان وحيله, فبدأت أجمع حيل الشيطان مع الإنسان؛ لأنَّ الإنسان إذا عرف عدوه وما هي خططه, يستطيع أن يتخذ وقاية منه, فوجدت حيله مع الإنسان باتجاهين:

الأول: شيطان له حيل حتى يوقعك في المعاصي.

الثاني: شيطان له حيل معك يمنعك عن الطاعات.

ولكي يدفعك الشيطان إلى المعصية له عشرة حبال, يرمي لك بأول حبل, ثم الثاني, ثم الثالث إلى العاشر, فيجمعها مع بعضها لتصير حبلاً مشدوداً, ويأخذ به الإنسان إلى الهاوية.

وأنت مطلوب منك أن تقطع له هذه الحبال من أول الأمر, حتى إذا وصل معك إلى آخر الطريق لم يبق له أي حبل, وإن بقي حبل واحد فلا يستطيع جرك به إلى الهاوية فينقطع.

وبالطاعة لديه ستة حبال يضفرها مع بعضها البعض يبعدك فيها عن الطاعة.

حيل الشيطان مع الإنسان عشرة في المعصية وستة في الطاعة أما حيله في المعصية فهي:

1. يأمرك باستماع حديث المعصية وهذه أول حباله, وقد يتبادر إلى أذهاننا أنه لا يحدث شيء بالاستماع لحديث المعصية, قال الله تعالى ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء 140] أناس هم يتكلمون في المعاصي هم يسيئون هم يستهزؤون بآيات الله قال الله لك لا تجلس معهم ولا تقل لا شأن لي أنا مجرد مستمع لهؤلاء؛ لأنك إذا قبلت بذلك تكون قد علقت بك أول حباله.

2. يأمرك بالنظر إلى المعصية لا تفعل شيئاً غير النظر إلى المعصية.

3. يأمرك بمجالسة أهل المعصية فتسهر معهم وتذهب للتنزه معهم وتخرج إلى الرحلات معهم يقول أنا لا أشاركهم المعصية لكن مجالستهم مسلية, قال الله تعالى ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾.

4. يأمرك بتمني المعصية, فصحيح أنك لا تعصي, لكنك بعد الاستماع والنظر والمجالسة تبدأ بتمني المعصية مثلهم, وتغبطهم على ما يفعلون, وقد جاء في الحديث عَنِ الْعُرْسِ ابْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ، كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا –وَقَالَ مَرَّةً: «أَنْكَرَهَا»– كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا، كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا**» [أبو داود] فتمني المعصية معصية وتمني الفحش فحش.

5. يأمرك بفعل المعصية, فيقول لك مثلاً: لو شربت قليلاً من البيرة من أجل الكلية؛ لأنها تؤلمك ولا تكثر.

يأمرك بالمجاهرة بالمعصية, فيخبرك بألا تستحي من فعلك, وما الذي تفعله, ويأمرك بتصوير فعلك ونشره على مواقع التواصل الاجتماعي, أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ**» [البخاري].

6. يأمرك باستصغار المعصية ويخبرك بأنَّ فعلك لا شيء فيه مجرد سهرة مختلطة وقليل من الرقص, وعندما يستصغر الذنب يبحث عن الأكبر.
7. يأمرك بالإصرار على المعصية فإذا استمع لدروس التوبة قال لا شأن لي توبوا أنتم أما أنا فلا وإذا ما أصر الإنسان على المعصية وإن كانت صغيرة تصبح كبيرة وإذا سمع قول الله عز وجل ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور 31] قال لا أريد التوبة أريد أن أبقى على حالي.
8. يأمرك بالدعوة إلى المعصية, فتدعوا أصدقاءك وجيرانك إلى المعصية, فيبدأ بالعمل بدل إبليس داعياً إلى المعصية, فلا تكن موظفاً عند إبليس بلا مقابل.
9. يأمره بتحدي الله عز وجل بالمعصية وهذا كفر ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر 16] وهكذا هو الشيطان يبدأ مع الإنسان من الاستماع للمعصية قال الله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة 168] ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر 16-17].

ولذلك اقطع الطريق عليه من أول خطوة حتى لا تصل إلى الهاوية.

وإذا بعث أحدهم إليك بصورة على مواقع التواصل الاجتماعي احذفها, وإذا قال لك تعال انظر معي بعض الصور لا تنظر, وليعلم بأنَّ لك رتبة عند الله.

وأما حيله في الطاعة فهي ستة:

1. يأمرك بترك الطاعة قائلاً لك: دع الصلاة, فإن لم تستجب انتقل بك إلى الحيلة الثانية.
2. يأمرك بتسويف الطاعة, بأن تؤجل الصلاة مثلاً من أجل أن تنظر إلى إحدى البرامج التلفزيونية, فإن لم تأتمر.
3. يأمرك بتعجيل الطاعة, من أجل النظر إلى البرنامج الفلاني, فإن لم تأتمر.
4. يأمرك بإحكامها مراءاة للناس, فإن لم تأتمر.
5. يأمرك بالعجب فيها مخاطباً لك: بأنَّ كل الذين يصلون لا يصلون صلاتك, فإن لم تأتمر.
6. قال لك: ما حاجة الله إلى عبادتك وطاعتك؟ أليس السعادة والشقاء قد كتبت؟

عن عمران، قال: قلت يا رسول الله، فيما يعمل العاملون؟ قال: «**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**» [البخاري ومسلم] مطلوب منك أن تعمل العمل الصالح.

كيف أعتصم من حبال الشيطان؟

بخمسة أشياء:

1. الإكثار من ذكر الله تعالى «**آمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ العَبْدُ لاَ يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ اللهِ**» [الترمذي].

فمهما استطعتم أن تكثروا من ذكر الله فافعلوا, عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ فَذَلِكَ الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ**» [مسند أبي يعلى الموصلي].

عن قيس بن الحجاج ، قال: ((قال شيطاني: دخلت فيك، وأنا مثل الجزور، وأنا فيك اليوم مثل العصفور، قال: قلت ولم ذاك؟ قال: تذيبني بكتاب الله)) [تاريخ دمشق لابن عساكر].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**» [البخاري ومسلم] لكثرة ذكر الله.

2. الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾.

3. صحبة الصالحين, قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ لَا يُؤَذَّنُ وَلَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الذِّئْبَ يَأْكُلُ الْقَاصِيَةَ» [أحمد].

لو استطعتم طيلة وقتكم أن تكونوا مع الصالحين افعلوا؛ لأنَّ الله يحمينا باجتماعنا مع بعضنا البعض.

4. تقليل الشهوات المباحات.

خفف من الطعام والشراب والمنام والضحك...لا تستغرق كل المباحات كما يفعل البعض, يقول: أنا تذوقت جميع أنواع الطعام, وركبت كل أنواع السيارات, وزرت كل البلاد, لأنَّه باستغراقك للمباحات ستقترب من الحرام, فلا تعطي النفس كل ما تشتهي, بل مرة ومرة, فعلى سبيل المثال لا تضع الشراب أو العصير في زجاجات الخمر أو ما شابهها, وخاصة أنتم أيها الشباب, ونصيحة للآباء والأمهات لا تعطوا أولادكم كل ما يشتهون, هذا غلط.

5. إذا كان الشيطان من الإنس اتركه ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون 6].

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.